﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الجاثية: 3]

مناسبة الآية لما قبلها:

تنوّع آيات الله فمنها المقروءة ومنها التّكوينية

لمّا ذكر الله تعالى كتابه العزيز المشتمل على بالغ الحكمة نبَّه إلى ما قد نصبه من الدلائل سوى القرآن مما صدَّ المعرض عن الاعتبار بها أو ببعضها مجرد هواه، فقال تعالى ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي لو لم تجئ لهم يا محمّد بعظيم آية الكتاب فقد كان لهم فيما نصبنا من الأدلّة أعظم برهان وأعظم تبيان[1]، وأيضًا لمّا ذكر القرآن في قوله ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ وكان فيه تذكير للمؤمنين الموقنين الذين يعقلون فصّل هذا الإجمال في هذه الآية والتي بعدها فقال ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ باعتبار أنَّ آيات السماوات والأرض وما عطف عليها إنّما كانت آياتٍ للمؤمنين الموقنين، وللّذين حصل لهم العلمُ بسببِ ما ذكّرهم به القرآن، وممّا يؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ﴾[2]، وأيضًا لمّا ذكر آياته المقروءة المعجزة أعقبه بذكر آياته التّكوينيَّة، فكلاهما دالّان على توحيد الله وكمال صفاته، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

المعنى الإجمالي:

في خلق السّماوات والأرض علامات باهِرة على الحقِّ للمؤمنينَ دون غَيرِهم

ثمّ أخبر الحقُّ تعالى بكلام مستأنف مسوق للتّنبيه على الآيات التّكوينيّة، الآفاقيّة والنّفسيّة، أي: إنَّ في خَلْقِ السّماوات وما حوت من كواكب وأفلاك، وما يجري في جوِّها من طيور وسُحُب، وما يختلف عليها من صحوٍ وغَيْم وما يسمع فيها من رعد، ويُرى من

(1) الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص: 304، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 62.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 326.

برق، وفي خلق الأرض وبسطها وما بثَّ فيها من خلائق وأجرى فيها من أنهار، وأنبت من زروع، وأرسى من جبال، وأبدع من عجائب - إنَّ في هذا كلِّه - لآياتٍ وحُججًا تدلُّ على كَمالِ قُدرتِه تعالى، وبَديعِ صُنعِه، ينتفع بها الَّذين يطلبون الإيمان، وينشدون الهداية، ويحسنون التَّدبُّر في الآيات، والإذعان للمُعجزات[1].

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

فائدة تتابع التَّأكيد:

لمّا جاءت الجملة الاسميَّة مؤكَّدةً بـ: ﴿إِنَّ﴾ واللّام في ﴿لَّأٓيَٰتٖ﴾ أفادت تحقيقَ أنَّ هذه الآيات للمؤمنين اهتمامًا بمن ينتفع بها واعتناءً بهم، ولمّا كان الخطاب للمشركين كان في تتابع التّأكيد إتيانٌ للكلام على خلاف مقتضى الظّاهر بتنزيل المخاطبين من المشركين منزلة المنكر لهذه الآيات الظّاهرة الدّالَّة على وحدانيَّة اللّه تعالى وعظيم قدرتِه بسبب عدم انتفاعِهم من هذه الآيات، وإنّما قلنا: أنزل المخاطبين منزلة المنكرين؛ لأنَّهم كانوا يعترفون بأنَّها من خلق اللّه، فقد قالَ تَعالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾ في سورَةِ [الزخرف: 9][2].

من لم ينتفع بآيات الله كان كالمنكر لها

الغرض من تقديم المسند على المسند إليه:

قُدِّمَ المسندُ وهو خبرُ ﴿إِنَّ﴾ على المسند إليه وهو اسمُها في قوله ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ تنبيهًا للمخاطَبين إلى العناية والاهتمام بما في السَّماوات والأرض من الآيات العظيمة الظّاهرة التي تكون طريقًا للإيمان، وذهب بعض المفسّرين وعلماء معاني القرآن إلى تقدير محذوف مضاف إلى السماوات، والتّقدير:

تنبيه المخاطبين إلى الاهتمام بالآيات الظّاهرة في السماوات والأرض

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 72، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 264، ومجمع البحوث، التفسير البسيط: 9/ 874.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 326.

(إنَّ في خلقِ السماوات والأرض) ليكون على نظير قولِه ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾[1]، والظّاهر أن لا حذفَ؛ لأنَّ المرادَ الإطلاقُ والعمومُ فيجري المعنى على ظاهرِه، بمعنى أنَّ في عينِ السماوات والأرض آياتٍ، ليشمل ما فيهما من عجائبَ وبدائعَ، في مقدارِهما وكيفيّتهما وحركتهما، وما في السّماوات من النّجوم والكواكب وغيرهما وما في الأرض من الشّمسِ والقمرِ والنُّجومِ والجبالِ والبحارِ وغيرها، ففي أيِّ شيءٍ نظرتَ فيهما من خلقٍ وغيرِه من تسخير وتنوير وإنباتٍ وغيرها آياتٌ[2].

بلاغة طيّ ذكر الخلق:

براعة القرآن في اختيار اللّفظة المناسبة للمعنى المقصود

سبب عدم ذكر الخلق في قولِه ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وإثباته في الآية الآتية في قولِه ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أنَّ الكلام في معرض ذكر ظاهر الخلقِ لوضوحِه وبيانِه لكلِّ ناظرٍ، ولهذا لم يقل (إنَّ خلقَ السّماوات والأرض)؛ لأنَّ خلقهما ليس بمشهود للخلق وإن كانتا مخلوقتين كما قال تعالى ﴿*مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 51] بخلاف خلق أطوار الإنسان، فكما أنه يستدلُّ بخلقِه على خالقه فكذلك يشاهدُ خلقُه وتوالدُه فتكون المخلوقيَّة فيه أظهر من الاول الأوّل[3].

فائدة ﴿فِي﴾:

السّماوات والأرض بمنزلة الظّرف الّذي يحوي الآيات الباهرة

يفيد حرف الجرّ ﴿فِي﴾ معنى الظّرفيَّة، لتشمل معنى نفس الشّيء وما يحتويه، أي: (إنَّ في أنفُس السّماوات والأرض) لما فيهما من فنون الدّلالة على القادر الحكيم جلَّ شأنه، والتّعبير بـ: ﴿فِي﴾ يجعل السّماوات والأرض بمنزلة الظّرف الذي يحوي الآيات؛ لأنَّ

(1) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 431، والزمخشري، الكشاف: 4/ 284، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 669.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 413.

(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 8/ 453.

الآيات ملازمةٌ لها بأدنى نظر[1]، كما تشمل الظّرفيَّة ما فيهما من المخلوقات كالنّجوم والكواكب والجبال والسّهول والبحار والأنهار وما في الأرض من معادنَ وغيرها، فكلُّ ما ذكر آياتٌ للمؤمنين.

بديع الطِّباق:

الحثُّ على النّظر في السّماوات والأرض لتنوّع الآيات الباهرة فيهما

في قولِه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ طباق، وذكرت السّماوات والأرض على طريق المقابلة بينهما إشعارًا بسهولة النّظر فيهما وتنوّع الآيات الظاهرة الباهرة فيهما، كما أنَّ في الطّباق تنبيهًا إلى أنَّ المقارنة بينهما فيما اشتملا عليه من الآيات ينتفع منها المؤمنون وتزيد في إيمانِهم.

فائدة تنكير لفظ ﴿لَّأٓيَٰتٖ﴾:

تعظيم آيات السّماوات والأرض

جاء لفظ ﴿لَّأٓيَٰتٖ﴾ نكرة لتعظيم آيات السّماوات والأرض وتفخيمهما، فهي آيات ظاهرة باهرةٌ دالّةٌ على وحدانيَّة الله وكمال صفاتِه ولاسيَّما عزّته وحكمتِه.

دلالة التّعبير بالخبر جمعًا:

الإيحاء بكثرة الآيات وكفايتها للمؤمنين

جاء خبر ﴿إِنَّ﴾ في قولِه ﴿لَّأٓيَٰتٖ﴾ بصيغة الجمع؛ للإشارة إلى تعدّد الآيات وكثرتِها وتنوّعها، وذكر الآيات مجملةً غيرَ مفصّلة للإشعار بأنَّ مجرَّدَ النّظر في مجملِها كافٍ للمؤمنين.

فائدة اللّام في قولِه ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

اللّام في قولِه: ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ للاختصاص، بمعنى اختصاص الآيات التي في السّماوات والأرض بالمؤمنين؛ لأنَّهم هم الذين ينتفعون منها، ففي الاختصاص معنى المدح والثّناء للمؤمنين.

فائدة العدول عن الخطاب إلى الاسم الظّاهر:

لمّا قال تعالى ﴿لَّأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ومثله في الآية التّالية ﴿ءَايَٰتُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 327.

لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وفي الّتي بعدها ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ولم يقل فيها (لآيات لكم) على طريق الخطاب آذنَ بأنَّ الخطاب موجَّه لعموم العباد ويدخل فيهم الكافرون؛ وفيه دعوةٌ لهم إلى النّظر في آيات الله المتنوّعة المفصّلة القريبة منهم.

دعوةُ الكافرين إلى النّظر في آيات الله المتنوّعة المفصّلة القريبة منهم

نكتة تخصيص الآيات بالمؤمنين:

خَصَّ المؤمنين بالانتفاعِ من هذه الآيات في قوله ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، مع أنَّ الآيات منصوبةٌ لهم ولغيرِهم؛ لأنَّ غير المؤمنين لمّا لم ينتفعوا بها صارت كأنَّها لم تكن لهم آيات[1]، وفي التّخصيص مدح للمؤمنين، كما أنَّها آيات لمن اعتقد اتّباع الآيات والإيقان بها، وهم المؤمنون، فأمّا من اعتقد ردَّها وترك الاتِّباع لها فليست هي آيات لهم[2].

في التّخصيص مدح للمؤمنين

سبب إيثار حذف متعلَّق اسم الفاعل:

حذف متعلَّق اسم الفاعل في قولِه ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، فلم يقل لآياتٍ للمؤمنين بالله أو بالبعث، ليفيد الحذف العموم، بمعنى أنَّ في السّماوات والأرض لآياتٍ للمؤمنين بالله وبرسلِه وباليوم الآخر، كما أنَّ فيهما آياتٍ لكلِّ أصولِ الإيمان ومقتضياتِه، ففيه إشعارٌ بأنَّ أصول الإيمان واحدةٌ وإن تنوّعت، فمن يؤمن بالله يؤمن برسلِه وبالملائكة وبالكتب المنزّلة وباليوم الآخر.

بلاغة التّعريض:

أفاد تخصيص الآيات بالمؤمنين التّعريض بمن لم يؤمن بها بأنَّ سبب عدم إيمانِه عدم انتفاعِه من النّظر ممّا هو ظاهر في السّماوات والأرض، أو يكون مكابرة منه، فالخلل فيه وليس في ما هو ظاهر للعيان ممّا لا يستطيع أيُّ إنسان أن ينكره.

من لم ينتفع بالآيات إنّما الخلل فيه وليس في ما هو ظاهر في العيان

(1) الإسكافي، درّة التنزيل: 1/ 1180.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 9/ 217.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"